سيمولوجيا الصورة الصحفية
عذراء بن طلحة أنموذجا

طالبة الدكتوراه: ريمة بن كراديجة
تحت إشراف: د. نوال حيفري
مختبر بحث الجماليات البصرية في الممارسات الفنيّة الجزائريّة
جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم

ملخص الدراسة:
الصورة هي تلك اللحظة الجامدة المطبوعة على الصحيفة ذات المضمون المهم، الواضح، الجذّاب والمعبر عن الأحداث أو الأشخاص ومختلف المناسبات المتصلة غالبا بمادة تحريرية معيّنة من أجل التأكيد، والتوضيح ولفت الانتباه. هذه الصورة التي أصبحت تلتقط من طرف عدسة المصور بطريقة تعكس حسا فنيا اتصاليا أخذت حيزا هاما في دراسات السيميولوجيا حيث إن الصورة تتفتح على العديد من الطرق المنهجية والإجراءات الفنية المعتمدة في التحليل والتأويل والبحث عن الدلالة في مختلف مجالات الحياة التي يمكن للتجارب الإنسانية أن تكون ضمنها.
لقد توصل رولان بارت إلى إيجاد طريقة لتحليل الصورة الفوتوغرافية وفق ثلاثة محاور أساسية وهو ما سنعتمده في تحليلنا لصورة صحفية تمّ اختيارها وفق أهميتها والتأثير الذي تركته عند نشرها، صورة **عذراء بن طلحة** التي نشرت في العديد من الجرائد لتبرز بشاعة الإرهاب إبان العشرية السوداء في الجزائر، وما كان لهذه الصورة ولا يزال من أثر واضح ومرسخ في الرأي العام.
الكلمات المفتاحية: الصورة، السيميولوجيا، الإجراءات الفنية، الصورة الفوتوغرافية، الرأي العام.

Résumé:
L'image est ce moment rigide imprimée sur une plate forme avec un contenu important, clair, attrayant et expressif sur les événements ou les personnes et les divers événements souvent associés à un éditorial particulier pour souligner, clarifier et attirer l'attention.

Cette image a pris une place importante dans les études de la Sémiologie car elle est ouverte à de nombreuses approches méthodologiques et procédures techniques adoptées dans l'analyse, dans l'interprétation et la recherche de signification dans les domaines de la vie.

Nous nous appuyons dans ce travail, sur l'analyse que présente Roland Barthes et qui s'appuye sur trois axes fondamentaux : l'image de la presse choisie en fonction de son importance et l'impact qu'elle a laissé lors de sa publication. A titre d'exemple, l'image de la Vierge Ben Talha, publiée dans de nombreux journaux pour souligner l'horreur du terrorisme Noir en Algérie, qui a eu un impact considérable sur l'opinion public.

Mot clés: Image, Techniques adoptées, Photographie, Sémiologie de l'image.

مقدمة:
مع الثورة التكنولوجية التي نعيشها أصبح التقاط ونشر الصور أمرا سهلا عبر الأقمار الصناعية وبسرعة فائقة حتى صار الحدث يبث مباشرة من مكان الحدث دون انتظار، وأصبحت الصورة الركيزة الأساسية في نقل المعرفة والترفيه والإعلام.

في الوقت الذي يتزايد فيه الإقبال على الصور، تبنّى علماء السيميولوجيا تحليلهم للصورة بكل مدلولاتها ومعانيها، فحسب **رولان بارت** "فإن الصورة هي نسق دلالي تواصلي مرتبط بالنسق الفكري، وهي عبارة عن خطاب رمزي" [1].

هذا الاهتمام من قبل السيميولوجيين جعل سيميولوجيا الصورة تنفتح على العديد من الطرق المنهجية والإجراءات الفنية المعتمدة في التحليل والتأويل والبحث عن الدلالة في مختلف مجالات الحياة التي يمكن للتجارب الإنسانية أن تتأطّر داخلها.

وقبل أن نبدأ في تحديد مستويات تحليل الصورة وجب أولا تحديد مصطلح السيميولوجيا الذي يعد حقلا معرفيا واسعا، ثم نحدد مصطلح الصورة وخصائصها لنتوصل إلى تحليل سيميولوجي للصورة الصحفية.

1– السيميولوجيا:

إن **السيميولوجيا** تعني الممارسة التي يكشف بموجبها المرض اعتمادا على الدلائل والقرائن (في العلوم الطبية) [2].

حسب **فاردیناند دي سوسير** هي: العلم العام الذي يتولى دراسة الدلائل والرموز لفظية كانت أو غيرها التي يستعملها الناس بغرض التواصل بين بعضهم البعض.

أما **رولان بارت** يرى أن السيميولوجيا ينبغي أن تكون مجرد فرع من علم اللسان وليس العكس هكذا يولي **دي سوسير** اللغة والمجتمع أهمية قصوى بينما يبقى اهتمام **بارت** منصبا على الدلالة وأنماطها[3].

- أما **كريستيان ميتز** فيرى أن السيميولوجيا أم العلوم الاجتماعية لأنها تمثل جانبها الإبستمولوجي[4].
- حسب **روجي ميتشيلي** فإن السيميولوجيا تهتم بدراسة جميع الدلائل[5].

هذه الدلائل تصنف حسب التصنيف التقليدي إلى طبيعية واصطناعية.

- أما التقسيم **الأكاديمي الفرنسي** يقسم الدلائل إلى أربعة أنواع:

القرينة، الإشارة، الدليل والرمز.

- أما العالم الأمريكي **بيرس** قسمها إلى أيقونات، مؤشرات ورموز[6].

هذا فيما يخص مفاهيم عامة حول السيميولوجيا أما عن الصورة فيمكن تلخيص مفاهيمها العامة كما يلي:

2- الصّورة:

لقد حظيت الصورة بدراسات وتحليلات خاصة تناول فيها الباحثون قضايا جوهرية متعددة، فهي تعد أهم أسلحة عصرنا الرّاهن والتي تؤثر على المتلقي بشكل كبير، فالصورة تجميد لواقع زمني معين ضمن كادر (إطار) فوتوغرافي بعينه وهنا أهم ما يميز الصورة هو الصدفة في اقتناص تلك اللّحظة التي قد تغير العالم بأسره[7].

الصورة التي نعرفها اليوم لم تنشأ كما هي عليه بل بدأت برسومات ونقوش على جدران كهوف الإنسان البدائي، ثم الغرفة السوداء التي استطاع من خلالها الرسام تخطيط رسوماته، ثم اختراع آلة التصوير والعديد من التطورات التي جعلت الصورة على الشكل الذي نراه اليوم بمختلف أنواعها واستعمالاتها من:

- **صور فنية.**
- **صور شخصية.**
- **صور إعلانية.**
- **صور صحفية.**

الصورة الصحفية هي التي ترافق الخبر أو المقال الصحفي لتكون الدليل الحقيقي لما يرويه المقال، لأن أول صورة صحفية تمّ التقاطها كانت سنة 1840م مع الصحافي **جون دارير**، إذ تعتبر الصورة الصحفية وسيلة مهمة لنقل الأخبار ويمكن من خلالها الاستغناء عن الكتابة،لأنها تدعم المادة المقدمة، وتثبت المعلومات، وتسجل الأحداث النّادرة والعابرة في جميع المجالات[8].

كما تعتبر الصورة الصحفية أيضا وسيلة ناجحة في جذب انتباه القارئ، وايجاد التّوازن عبر الصفحات ومراعاة حركة أعين القراء خاصة إذا تمّت مراعاة الأسس الفنية لاستخداماتها ولانتقائها حتى تجلب القراء أكثر، فأنواع اللقطات وزوايا التصوير والإضاءة كلها تؤثر على جذب القراء.

1 - سيميولوجيا الصورة :

إن الصورة عالم واسع متشبّع بالدلالات والرموز ولتحليلها سيميولوجيا نعود إلى أعمال متداولة مثل **بيرس** و**رولان بارت** اللّذين أسهما بأبحاثهما في هذا الحقل المعرفي.

ويقوم تحليل الصورة وفقا لطريقة **رولان بارت** على ثلاثة (3) مجالات دراسية محورية[9] **الدراسة الشكلية:** وتسمى بالدراسة التقنية للصورة.

- **الدراسة الأيقونية** :دراسة الأبعاد التكنولوجية للصورة ودراسة التخمينات الاجتماعية والثّقافية للصورة.
- **الدراسة الألسنية** : تحليل الرسالة الألسنية المرافقة للصورة.

تحليل سيميولوجي لصورة صحفية:

صورة عذراء بن طلحة 23 سبتمبر 1997 أنموذجا.

من بين الصور الأكثر تأثيرا على المتلقي إن لم نقل الأكثر تمثيلية للمذابح المرعبة التي أدمت سكان الجزائر منذ سنوات، وعلى الرغم من كل الصور التي نُشرت على المذابح والدماء والموتى إلاّ أن صورة امرأة تبكي على فقدان أهلها وأبنائها في مجزرة دموية أثرت على الرأي العام أكثر من أي صورة أخرى، هي صورة **عذراء بن طلحة** أو**عذراء الجزائر.**

التحليل هنا منفصل عن النص المصاحب لها بحيث إنها تصدرت 750 جريدة عالمية آنذاك، وكل ما كُتب عنها وعن بشاعة تلك الليلة المرعبة، لذا اخترنا تحليل دلائل وأيقونات الصورة دون النص المصاحب لها.

التحليل:

المرسل: حسين زاورار. الذي استلم الجائزة الأولى للمسابقة العالمية للصورة الصحفية Word Presse Photos سنة 1997 تابع لمكتب AFP بالجزائر[10].

عنوان الصورة : عذراء بن طلحة LA MADONE DE BENTELHA.

وسيلة التصوير: آلة تصوير عادية لأن المصور في مثل هذه الظروف لا يحتاج إلى آلة تصوير فائقة الدقة.

طريقة التقاط الصورة :التقط المصور هذه الصورة من **قرية بن طلحة** التي لم تستيقظ من كابوسها، والصورة تعكس حالة امرأة جزائرية نجت من الموت و لكنها باكية على فقدان أهلها في ليلة واحدة.

تاريخ الصورة وظروف إيداعها:التقطت هذه الصورة صبيحة المجزرة التي حدثت في **بن طلحة** يوم 23 سبتمبر 1997 على الساعة 12سا 30دقيقة بمستشفى **زميرلي** بالعاصمة وهي تعبّر عن بشاعة جرائم الإرهابيين.

أسباب التقاط الصورة [11]:

التقطت هذه الصورة الفوتوغرافية بعد ولوج الإرهابيين إلى **قرية بن طلحة** ليلة 22 إلى 23 سبتمبر 1997. مرسل هذه الصورة هو الصحفي **حسين زاورار** العامل بوكالة الأنباء الفرنسية AFP انتقل إلى عين المكان للقيام بالتحقيق ونقل ما يجري إلى العالم، فهو قام بدوره باعتباره صُحفيا في تنوير الجماهير، ولكنّه في الوقت نفسه قدّم ربّما عن غير قصد خدمات جليلة للإرهابيين تمثّلت في الترويج لجرائمهم البشعة.

اهتم النقاد بهذه الصورة حيث تصدّرت الصفحات الأولى ل 750 جريدة عالمية (إلا الجزائريّة منها) وتحصّل المصور على جائزة أحسن صورة عالمية Word Presse Photos لسنة 1997م.

الإرسال: تمّ إرسال هذه الصورة في فترة التقاطها أي في صبيحة تلك الليلة السّوداء التي قتل فيها الإرهابيون أكثر من **200 شخص** من أفراد تلك القرية البائسة، ونشرت على صفحات الجرائد العالمية.

الدراسة الشكلية:

نوع الصورة : صورة صحفية فوتوغرافية ذات بعد سياسي واجتماعي.

- **سياسي**: لأنها عكست الوضع الخطير وآلام الأم الجزائرية أثناء تلك الفترة العصيبة من تاريخ الجزائر.
- **اجتماعي:** لأنها صوّرت حالة الأفراد الذين فقدوا أهلهم وأقاربهم في عهد الإرهاب، مأساة، معاناة وتآخي وتضامن في الوقت نفسه.

محاور الصورة: تحمل الصورة مشهدين، مشهد لامرأة باكية وهي متكئة على حائط مبنى المستشفى، الرأس منحني إلى اليمين يكاد يغمى عليها.

المشهد الثاني :للمرأة الثانية الظاهرة من الجانب وكأنها تحاول تضميد جروح المرأة الباكية وتواسيها بالقرب منها.

المستوى الإدراكي والمعرفي (الأشكال والألوان): يمكن تقسيم الصورة إلى قسمين:

قسم المرأة المتكئة على الحائط وكأنها مغمى عليها.

قسم المرأة الثانية التي تحاول تضميد جروحها ومواساتها في الحادث.

إطار الصورة مركّزة بشدّة حيث هي تدخل ربّما ضمن إطار الصورة الشخصية التي تبرز الملامح الرئيسية للشخص (Plan rapproché).

- وجهة النظر مركزّة على المرأة ومتوسطة للشخصيتين.
- من الجهة الجانبية اليمنى حيث يظهر خيال شخص آخر على الحائط تبيّن أن المكان عامر بالناس (في المستشفى).

تسليط الضوء من الأعلى لأن الوقت 12سا 30 دقيقة منتصف النهار، أي أن الشّمس في كبد السّماء، وعلى حائط المستشفى المُتكئة عليه المرأة لا يوجد خيال، بل هو مندمج مع جسد الألوان، هي طبيعة يغلبُ عليها الأزرق والرمادي وهو ما ترتديه المرأتان ولمحات من البني (الأسمر).

- في تلاعب الضوء والخيال ظهرت بشدة طيات الملابس بصورة غرافيكية ودليل على الاسترخاء وعدم القدرة على التحكم أكثر.
- إنحاء رأس المرأة الظاهر جانبيًا، النظر إلى الفراغ المظلم والفم الصارخ بصمت يبين المعاناة وحالتها السيئة.

السنن التشكيلية: وهي العناصر التي دخلت في تشكيل الصورة، وهي المرأتان: الأولى والثانية الظّاهرة بالجانب وحائط المستشفى المتكئة عليه المرأة وهو من واجهتين.

الدراسة الأيقونية:

مجال البلاغة الرمزية في الصورة (الرسالة التضمينية): تضمنت الصورة عدّة علامات بصرية تشكيلية وقد تضمنت الدلالات الآتية :

المرأة الأولى:علامة بصرية تدلّ على المأساة التي تعيشها المرأة بعد فقدان أهلها.

المرأة الثانية: علامة بصرية تدلّ على التآخي والتعاون بين نساء الجزائر أثناء الأحداث المأساوية.

هوية الرسالة الفنية : تنتمي هذه الرسالة إلى الصورة الخبرية لأنها تمثل حدثا وقع في مكان وزمن معينين، وهذا النوع من الصّور مكمل للخبر بحيث لا يجعل القارئ يستفسر عن صحة ما ورد في الخبر من معلومات ولكن قوّة الصورة تتضح هنا حتى ولم تصحب بخبر مكتوب، فالمرأة الباكية والأخرى بجوارها تعكس الحالة السائدة في القرية، من الرعب والخوف والبكاء والصّراخ الذي تعيشه القرية.

المعنى التقريري والمعنى التضميني: لقد نشرت هذه الصورة على صفحات الجرائد العالمية وتلقت جوائز عالمية، ولقد تعددت القراءات والتفسيرات التي أعطت لها من مأساة وما عاشه الجزائريين في ذلك الوقت.

التحليل الأيقوني:

تصنف سيمولوجيا إلى صورة واقعية طبيعية .

الشكل مستطيل طول:21/30 وهي من الأشكال الأكثر شيوعا حيث يمكن إبراز تفاصيل الصورة التي هي واضحة هنا كما يبدو.التقطت بزاوية عالية بارزة ومقربة غير مدعمة برسالة كلامية لأنها وحدها تعبر عن مضمونها.

- أثرت هذه الصورة على الرأي العام بشكل كبير على الرغم من كونها لا تحمل الكثير من الدلالات التي تمثل دموية ووحشية الإرهاب على غرار كل الصور الأخرى.
- استطاع الإعلام أن يجعل من صورة امرأة باكية حزينة تجوب العالم وتبرز وحشية الإرهاب وهنا يبرز دور الإعلام في التأثير على المتلقي وتشكيل الرأي العام.

البعد الأيديولوجي للصورة: أحدثت هذه الصورة صدمة في صفوف المواطنين وليس فقط الجزائريين بل كل من شاهد الصورة في مختلف أنحاء العالم وعرفوا ما يقع في الجزائر بالضبط.

نقد الصورة: كتب الصحفيون بكل اللغات نقدا لهذه الصورة حتى إن المرأة التي تظهر على الصورة استدعيت إلى بلاتوهات التلفزيون لشرح ما جرى لها وما انتقد في حقها.

- فقد قورنت المرأة في الصورة بالعذراء المسيحية ولكنها مسلمة جزائرية، فهي على الرغم لما جرى لها خرجت من المنزل وهي مرتدية حجابها الإسلامي.
- وقالت السيدة **أمّ سعد** (المرأة الأولى الظاهرة في الصورة) أن هذه الصورة وبعد ما كتب عليها، أنها لا تريد صورتها تجول العالم فكما جرى معها من الممكن أن يحدث لأي امرأة أخرى.

خلاصة:

تحمل هذه الصورة **عذراء الجزائر** أو **عذراء بن طلحة** بعدا إعلاميا وسياسيا وقد أراد صاحبها تمرير فكرة إلى الرأي العام الوطني والدولي، مفادها أن الإرهاب قد عثا في الأرض فسادا وقتل عائلات بأكملها وقد ترتب عن ذلك أبرياء مشرّدون، يتامى، أرامل... على العموم هذه الصورة وصلت إلى حد بعيد ووُفق الصحفي في مهمته حين نقل الحادثة.

إن الصورة الصحفية لم تعد فقط ذلك المنظر الملتقط بعدسة المصور ليرافق مقالا صحفيا بل أصبحت فنا قائما بذاته له مهامه، وخصائصه، ومعايير لاختياره وانتقائه، تنقل الحدث وتجسّد الواقع وما زادها أهمية ووضوحا ذلك التطور التكنولوجي المستمر وهو مستقبل ستكشفه الأيام القادمة.

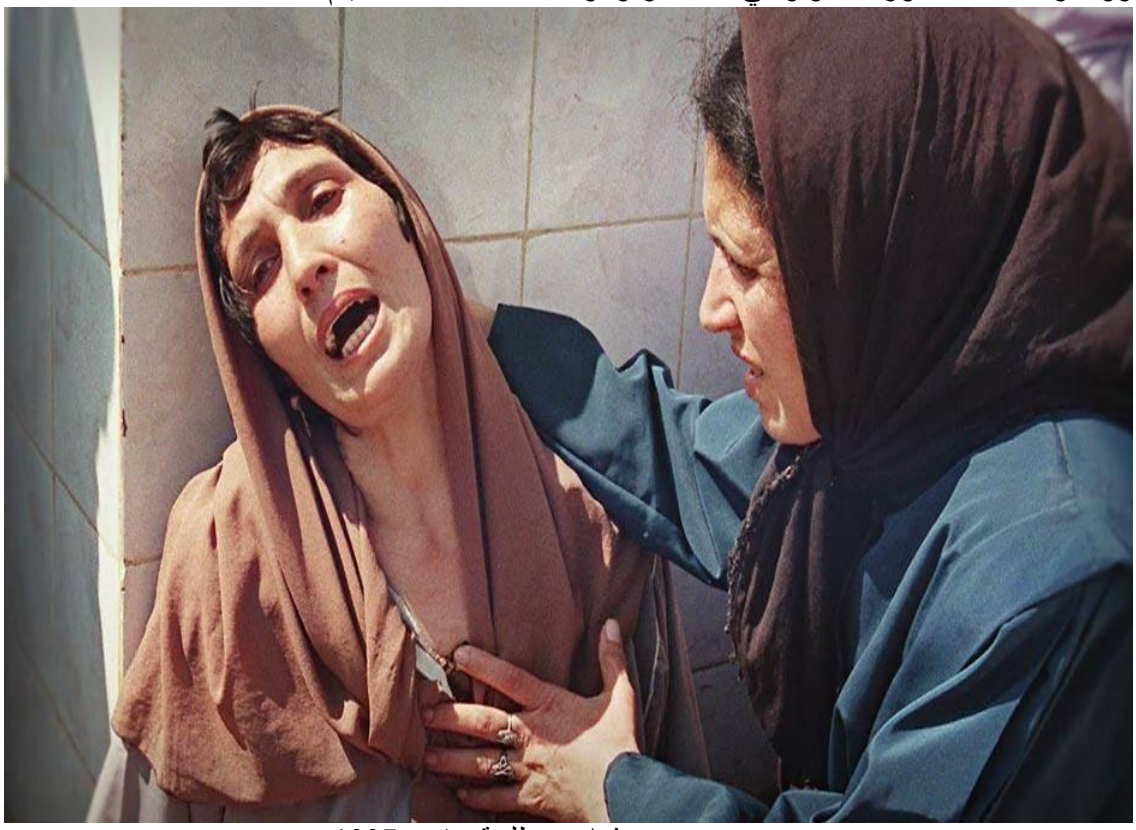

صورة عذراء بن طلحة سبتمبر 1997

الهوامش:

1. قدور عبد الله الثاني، سيميائية الصورة، لبنان، الورائق للنشر والتوزيع، 2008، ص. 100.
2. ابراقن محمود، التحليل السيميولوجي للفيلم، ط.1، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2006، ص. 32.
3. Guy Hennebelle , 25 ans de sémiologie, corlet-télérama, Paris, janvier, 1991.p15.
4. دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، ط.1، بيروت،المنظمة العربية للترجمة، أكتوبر 2008، ص 46.
5. Guy Hennebelle , 25 ans de sémiologie, p.18.
6. دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، مرجع سبق ذكره ، ص. 69.
7. فهد عبد العزيز، بدر العسكر، الإخراج الصحفي، أهميته الوظيفة واتجاهاته الحديثة، الرياض، دار العربي، ط.1، 1998،ص40.
8. محمد عبد الحميد، السيد بهنسي، تأثيرات الصورة الصحفية، النظرية والتطبيق، عالم الكتب، القاهرة، ط.1، 2004، ص. 33.
9. قدور عبد الله الثاني، مرجع سبق ذكره، ص207.
10. Pascale convert , Massacre a bentelha.une image a vif , www.pascalconvert.fr. mars 2015.
11. Ibid.
12. Ibid.